التفت حشد كبير من الصحفيين، ورجال الاعمال،وصفوة المجتمع ،حول رجل وقور ،أشيب الشعر ،يرتدى نظارة طبية ،أطلق لحيته بطريقة مهذبة ،كان يبدو عليه الاهتمام بأناقته فقد كان يرتدى حلة سوداء فاخرة ورباط عنق أنيق مناسب للون حلته وقميصه، كان يبتسم وهو يقول:

--أرجو الهدوء فبعد قليل سأبدأ المؤتمر الصحفى،وسيحصل الجميع على إجابات لكل الاسئلة .

اقترب منه صحفي شاب وهو يقول:

-نحن نعلم جيدا ذلك ، ولكننا نفضل بعض الاسئلة الخاصة ..

نظر له الرجل الوقور كثيرا ثم قال :

-خاصة !!ما معنى ذلك ؟

هز الصحفي رأسه ،وهو يقول في هدوء:

-أعلم انك ستعلن عن كشفك العلمي، مميزاته ومكوناته ،ولكن ..

صمت لحظة ثم أردف في خبث:

-إلى اى جهة ستبيع هذا الكشف؟!

احتقن وجه العالم الوقور ،وهو يقول في غضب :

- تبا لك ..لبلدي طبعا ..

ثم اتجه في غضب إلى منصة صغيرة أعدت للمؤتمر ،ووقف أمام الحشد وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على وجهه..

وبدأ البث المباشر للمؤتمر..

ساد الصمت في القاعة ،وجلس الجميع في أماكنهم المخصصة ..

سمع صوت يقول :

- أيها السادة ...الآن يبدأ البث المباشر للمؤتمر الذى يضم صفوة العلماء في جميع المجالات ..واليوم يعلن العالم الجليل (منير عوض) عن كشفه الخطير في مجال الصيدلة ..

صفق الجميع بحرارة ،فتمتم د .منير :

-شكرا لكم ..

**ثم تنهد وبدأ كلامه :**

**- اشكركم أيها السادة على الحضور ..وأشكر كل من يتابعنا على القنوات الفضائية..**

**ثم تغيرت لهجته إلى الجدية وهو يكمل:**

**- الكشف العلمي الذى توصلت إليه استغرق منى سنوات طويلة حتى أصل للمرحلة التي أتمناها..**

**وبفضل مجهودي وأبحاثي استطعت الوصول إلى النتيجة الحالية..**

**أبحاثي كلها تعتمد على النمو العقلي ،قد استطعنا أن ندرك نسبة ذكاء الطفل وهو مازال في طور الجنين ..**

**قاطعه أحد الجالسين:**

**-ولكن الذكاء له مقاييس أخرى غير مقاييس الوراثة ،منها الاحتكاك بالمجتمع وظروف البيئة. .**

**عقد د .منير حاجبيه في غضب وقال:**

**لا تقاطعني ابدا حتى انتهى ..**

**ثم عاد ليكمل :**

**- عند إدراكنا لنسبة الذكاء ندرك هل سيكون فردا فعالا ذكيا في دولته ام غبيا عالة عليها..**

**قالها وهو ينظر لمقاطعه وكأنها إشارة له ..**

**أكمل في صوت متهدج:**

**- كشفي عبارة عن عقار تتناوله الأم في مرحلة الحمل وقبل الإنجاب بفترة كافية ..هذا العقار يحفز بعض خلايا الجنين لزيادة نسبة النمو العقلي لديه..**

**سرت همهمة بين الحشد وقال أحدهم :**

**-قد يكون هذا خطرا على الام او الطفل ..**

**هز د. منير رأسه نفيا وهو يقول:**

**- بالطبع لا ..العقار يصل إلى الجنين لينشط خلايا المخ ولا يسبب أدنى ضرر له ..**

**قال أحد الجالسين :**

- وكيف لنا أن نتأكد من صحة عقارك..

قال د .منير في تحدى:

- لكل اختراع تجربة أولى ..وأنا بدأت تجربتي وفى انتظار النتيجة ..

ثم أشار إلى سيدة تبدو في الثلاثين من عمرها وقال :- أقدم لكم زوجتي الغالية ..تحمل في احشائها طفلي الذى وصل له العقار وبدأ عمله في عقله منذ أسبوعا كاملا ..بالطبع أدرك أن طفلي سيكون ذكيا بالفطرة ،ولكن لا مانع أن تزداد نسبة الذكاء لديه..

تعالت صيحات الدهشة ،والاستنكار ..

إلى هذه الدرجة متأكد من صحة عقاره..

قد يعرض زوجته وطفله لخطر جسيم ،ولكن غروره اكبر من اى مشاعر..

سمع الجميع صوته وهو يقول:

- زوجتي في الشهر الخامس الآن ..أي أمامنا أربع أشهر على الإنجاب ..وفى الدورة التالية من المؤتمر ستتضح النتائج كاملة ..

**********

تمت الولادة بصورة طبيعية للغاية ..افضل مما كان متوقعا لها..

ولكن حرصا على صحة الطفل تم نقله الى حجرة رعاية خاصة للغاية..

كانت لهفة د.منير كبيرة وهوينظر له فى اهتمام شديد وهو يقول :

_ تعال يا صغيرى..اثبت للعالم صحة كشفى العلمي.

**ضحك الطبيب الذى اجرى الولادة وهو يقول:**

**_ ها هو امامك ..طبيعى وسليم تماما وزوجتك على ما يرام..**

**لم يبال د.منير بأمر زوجته بل قال متسائلا:**

**_ هل كان هناك شىء أثار الانتباه أثناء الولادة ؟**

**هز الطبيب رأسه نفيا وقال:**

**_ مطلقا ..لم يحدث شيئا يلفت النظر.**

**وفى هذه اللحظة ، كانت الممرضة تنقل الطفل للحجرة الخاصة ،كانت تبتسم له وهى تقول :**

**- ما أجملك ! كم ؟ كم أتمنى انجاب طفل مثلك.**

**لفت نظرها تجاوبه الشديد معها،لم تدر لماذا شعرت بدهشة ، لم يكن شيئا ملفتا ، بل احساس بالرهبة فقط..**

**نظرت اليه وهى تقول :**

**- هل تفهم كلامي ؟**

**أومأ برأسه موافقا ، وكأنه يؤيد كلامها..**

**تراجعت فى ذعر ، ثم اقتربت مرة أخرى منه وهو فى فراشه ولمحت عيناه تتسعان بطريقة غريبة ، شعرت بعدها بألم رهيب فى رأسها..**

**نظرت أمامها وهى تحاول الامساك بشىء مجهول وهى تصرخ :**

**لا لا ..اتركني ..ابتعد عني..**

**احتقن وجههافى قوة ، وصرخت..**

**وكانت صرختها الأخيرة..**

*************************************************

***(كيف حدث هذا؟!)..***

**قالها د.منير فى قوة وهو ينظر إلى الطبيب الذى قام بالولادة..**

هز رأسه فى دهشة وهو يقول بدوره:

-لقد سمعنا كلنا صوت الصرخة فاتجهنا فى سرعة الى الحجرة لنرى الجثة بهذه الطريقة

عاد د .منير ينظر للجثة التى اتسعت عيناها رعبا ، واحتقن وجهها..

ثم قال فى تساؤل :

- وطفلى ! أين هو الآن ؟!

رد عليه الطبيب :

- وضعناه فى حجرة أخرى ، ومعه الأن والدته التى جزعت من هول الصدمة..

لمح د.منير بعض رجال الشرطة فى المكان ..فقال مستنكرا:

- ما الذى أتى بهم إلى هنا ؟

- الا ترى فى منظر الجثة ما يدعو للريبة والغموض.

-قد يكون ضغط دم مرتفع او ما شابه ذلك ..

استنكر الطبيب كلامه تماما وهو يشير للجثة :

-وهل هذا مشهد لمن يتوفى بضغط دم مرتفع ..انك دكتور وتعرف تماما أن هذا المشهد غير طبيعى..

كان د منير يعلم أن هناك ما يثير الريبة ..

ولكن حرصه على نجاح تجربته كان يحتاج إلى سرية حول مرحلة اكتمال التجربة ..

لن يدع ما يؤثر على نجاحه..

لن يسمح بفشل تجربته ..

أبدا ..

---

مرت الأيام فى سرعة ..

لم يحدث شىء يثير الريبة. .

خرج الطفل ومعه والدته من المستشفى..

كان تقرير وفاة الممرضة هو أزمة قلبية نتيجة صدمة عصبية ..

**لم يدر أحد ما سبب الصدمة ..**

**عاش الطفل فى المنزل الكبير الذى يمتلكه د منير وقد كان يجلس معه بصورة مستمرة أكثر حتى من والدته..**

**كان يراقب ردود أفعاله كلها..**

**يجرى تجاربه عليه كفأر تجارب..**

**كان يتجاوب معه بصورة مذهلة ..**

**امتلأت نفس د.منير بالزهو وهو يشعر باقتراب نجاح تجربته..**

**سمع صوت زوجته تقول فى رجاء:**

**-كفى يا منير ..طفلنا قد أرهق تماما..**

**نظر لها د.منير فى غضب وقال:**

**لا تتدخلى فى تلك الأمور ..عندما تناولت تلك العقاقير كنت تدركين ان ذلك سيحدث..**

**قالت فى مرارة :**

**-يا ليتنى لم أتناول اى عقاقير..**

لو كنت أعلم أن طفلى سيتحول لفأر تجارب يلهو به والده ما كنت سمحت أن أتناول اى عقار..

عقد د.منير حاجبيه فى ضيق وقال:

- ابننا عبقرى ..هل تفهمين ؟عبقرى

هزت رأسها فى توتر :

- قد يحدث له ضررا ما

- ماذا ؟! هل تشككين فى صحة تجربتى.

صمتت..

كانت تعلم انه سيثور ويصبح كالغول ان شكك احد فى صحة تجربته..

رغم هذا كانت لديها مخاوفها..

غريزة الأمومة بداخلها تحرك فيها شيئا ما..

كانت تخشاه..

بلى ..تخشاه ..

تخشى ابنها الرضيع ..

كانت تلمح نظرة فى عينيه ،تسبب لها رعبا خاصا..

**تشعر برجفة وهى ترضعه، احساس مبهم كلما اقتربت منه..**

**هزت رأسها ثم قالت :**

**لا عليك ..أشعر فقط بالقلق..**

**ثم التفت إلى طفلها ..**

**لمحته يبتسم ابتسامة بدت لها ساخرة..**

**كان ينظر لها وكأنه يخترقها..**

**أسرعت تغادر المكان فى سرعة وذعر..**

**وعاد د منير ينظر لطفله ويتحدث معه كأنه يفهمه:**

**- والدتك ستكون عقبة فى نجاح التجربة ..**

**لمح د.منير طفله وكأنه يهز رأسه موافقا على قوله..**

**ثم لمحه ينظر حيث كانت والدته تقف ..ويبتسم ابتسامة لم ترق لوالده ..**

**ابتسامة بدت شرسة بالنسبة لطفل رضيع..**

**----------**

**مضى عام كامل ..**

**أقيم احتفال كبير فى منزل د.منير بمناسبة مرور عام على مولد ابنه..**

**كان يعده طول الوقت لعرضه فى مؤتمر العلوم كأنه مجرد اكتشاف أو اختراع وليس طفله الوحيد ..**

**حضر الاحتفال لفيف من العلماء ،وبعض الأصدقاء ومنهم صديق عمره (خالد) ،الذى اقترب من د.منير وقال له فى تساؤل:**

**- أراك قلقا ..ماذا بك؟!**

**ابتسم د.منير ابتسامة لم تخف لهجة التوتر حين قال:**

**- وماذا بي؟! كل ما فى الأمر أنى لا أحب الاحتفالات الساذجة مثل أعياد الميلاد وما شابه.**

خالد :

- ولماذا أقمت عيد الميلاد إذن ؟

د.منير:

- كل هؤلاء العلماء ينتظرون فرصة الخطأ..أردت أن أثبت لهم أن الحالة بخير وأن عقاري لم يؤثر بالسلب على طفلي ،عندما يروه سيعرفون أن كل شيء تحت السيطرة

خالد:

- وأين هو الآن ؟!

أشار د منير إلى غرفة النوم وقال:

- مع والدته ؛ تعده للاحتفال .

-- فى نفس اللحظة ، كانت الأم فعلا تعد طفلها لحضور عيد ميلاده ،وكانت تبتسم له وهى تقول :

-الآن أصبحت جاهزا للحضور ..فى قمة الأناقة يا طفلي العزيز ..

اصطدمت عيناها بنظرته القاسية ، فتراجعت فى ذعر وهى تقول :

- كيف لطفل مثلك أن ينظر مثل هذه النظرة القاسية ،عيناك تبدو وكأنها لرجل بالغ قاسي فظ القلب

شعرت بألم شديد فى عقلها ..

ثم نظرت حولها ،ومدت ذراعيها أمامها وكأنها تحاول أن تسبح ..

قالت فى صعوبة شديدة :

-كيف هذا ..كيف؟!

شعرت باختناق شديد ،وظلت تحاول التنفس فى صعوبة ،ثم نظرت نظرة أخيرة الى طفلها لتلمح شبه ابتسامة ساخرة ..

صرخت فى قوة ،ثم انهارت على أرضية الغرفة ..

دون حركة ..

ودون روح..

---

جذبت الصرخة انتباه الحاضرين ،وساد القلق ،واندفع الجميع نحو مصدر الصرخة ..

أسرع د.منير نحو الغرفة وفتحها فى توتر ملحوظ..

ثم تراجع فى ذعر ؛ وهو يلمح جثة زوجته ملقاة على الأرض وعلى وجهها أبشع آيات الرعب والفزع ..

سمع صوت صديقه (خالد) وهو يقول له:

- رحماك يا إلهى ..ماذا حدث ؟!

صرخ أغلب الحاضرين فى فزع ..

لم يتمالك د.منير نفسه ،فجلس على مقعد صغير ..ثم التفت إلى طفله الذى كان ينظر إليه فى نفس الوقت ..

هل خيل إليه انه يرى نظرة انتصار فى عين طفله؟..

هل خيل له أن طفله ،وهو وسط هذا الحشد من الناس ،وكلهم فى حالة من الفزع والتوتر والصراخمازال يبتسم فى هدوء وانتصار عكس المألوف..؟

أكيد أوهام ..

**هكذا أقنع نفسه ..**

**أو حاول أن يقتنع بهذا ..**

**----------**

**هز الطبيب رأسه فى ذهولوهو يقول لدكتور منير :**

**-زوجتك أصيبت باختناق شديد ،وفى نفس الوقت لا يوجد آثار على عنقها تدل على ذلك ..لقد أصيب كما لو غرقت فى مياه عميقة**

**تراجع د.منير فى مقعده وقال:**

**- غرقت !!كيف !!لقد كانت على أرضية الغرفة وليست فى نهر أو بحر ..أيضا زوجتى تخشى المياه ولا تعوم أبدا، انها حتى لا تستخدم حوض الاستحمام ..باختصار لديها فوبيا من المياه**

**صمت الطبيب قليلا ثم قال:**

**- أنا أشرح لك الموقف فقط ،هذا ما تدل عليه معالم التشريح ..**

**صمت د.منير ..**

**وطال صمته ..**

**كانت فكرة ما بدأت تتضح فى عقله ..**

**وعزم على تأكيدها..**

**----------**

**كانت مدام (يسرية) تقف أمام د.منير فى حزن ، تطرق رأسها أرضا وهى تتمتم:**

**- البقاء لله يا دكتور..لقد أحزننى وفاتها كثيرا**

**د.منير:**

**- شكرا لك يا (يسرية) ،لقد بعثت فى طلبك لأنني علمت أنك أفضلمديرة منزل ،وقد أثنى عليك صديقى (خالد)..**

**يسرية:**

**- أتمنى أن أكون عند حسن الظن**

**د.منير:**

**- كما تعلمين لقد تركت لى زوجتى طفل رضيع فى العام الأول من عمره ،مما يسبب عبئا إضافيا عليك ..**

**يسرية:**

**- لقد مرت بي مثل تلك الظروف ، لا تقلق**

**اتجه د.منير إلى حجرة طفله ،مع مديرة منزله فرأى نائما ..**

**همس د.منير:**

**- ها هو ما زال نائما، أنا سأذهب إلى موعد هام وأرجو الاعتناء به**

**يسرية:**

**لا تخشى شيئا يا د.منير .،سأعتنى به كأنه ولدى.**

**عقد د.منير حاجبيه فى تساؤل:**

**- علمت أن كان لديك إبن فى المرحلة الاعدادية ،وقد توفى ..ماذا حدث له؟**

**لمعت عينا (يسرية) وترقرق الدمع فيها وهى تقول:**

- حادثة سير ..لقد صدمته سيارة مسرعة ،كان ابنى الوحيد

هز د.منير رأسه فى فهم ،ثم واساها بكلمة خافته ،وغادر المنزل..

اتجهت إلى غرفة الطفل ،وفتحت الباب لتراه أمامها مستيقظا،ينظر لها فى ثبات كأنه يتوقع قدومها..

لم تدر سبب تلك الرعشة التى انتشرت فى جسدها ،ولكنها اقتربت منه ثم حملته بين ذراعيها ،وهى تهمس:

- من الآن أنا التى ستكون بجانبك ..لن يأخذك منى أى شخص ..

ثم نهضت تعد له طعامه وتسكب عليه بعض اللبن ..

اقتربت منه لتطعمه فرفض..

أشاح بوجهه عن الطعام ،وحاول الابتعاد..

حكمت قبضتها على ملابسه ،وهى تقول :

**-ستتناول طعامك مهما حدث ..أنت فى حاجه إليه**

**نظر لها نظرة أخافتها ..**

**ارتجفت بشدة..**

**سمعت صوت أقدام تقترب فى هدوء..**

**اقتربت من باب الغرفة ،وهى تقول :**

**- د.منير ..هل أتيت؟!**

**تسمرت فى مكانها فى فزع ..**

**صرخت صرخة مدوية ..**

**كان القادم إليها آخر ما يمكن أن تتصوره..**

**وبكل الخوف صرخت :**

***-أنت !!!!!***

---

**وقفت سيارة د.منير فى مكان مظلم ،صامت تماما،إلا من صوت بعض الحشرات ،ونباح الكلاب الضالة ..**

**لا يوجد صوت بشري هنا تماما..**

خرج من سيارته فى حذر ، ونظر حوله ..

الظلام يلف المكان ..

كانت منطقة بعيدة عن العمران ، لا يوجد بها أى مظهر من مظاهر المدينة ..

سار فى ترقب حتى اقترب من بوابة حديدية مفتوحة ..

واتضح المشهد..

انها مقابر قديمة ،تمتد الشواهد منها فى كل صوب ..

صامتة كساكنيها. .

اقترب من أحد القبور ،ووقف أمامه ينظر إلى الاسم المكتوب على لوحته..

خفض رأسه وسالت منه الدموع وهو يتمتم الفاتحة ..

ثم تنهد تنهيدة قوية ،وسار إلى داخل المقابر وهو يستخدم المصباح فى هاتفه المحمول..

وقف أمام حجرة بنيت وسط القبور حتى اتخذت شكلها وظن البعض انها قبر مجهول..

اقترب من الحجرة ، ودق بابها ..

جاوبه الصمت لحظات ..

عاود الطرقات مرة أخرى، حتى سمع صوت أقدام تقترب ثم صوت مزلاج حديدى يفتح ..

طالعه وجه عجوز ممتلئ بالتجاعيد ،له نظرات ثاقبة ،وأنف كبير..

وبصوت مزعج مبحوح قال العجوز:

- من أنت؟

د.منير:

- أنا د.منير يا (هلباوي) ،إبن د.عزت الدسوقي

بدت شبه ابتسامة على وجه العجوز وهو يدعوه للدخول :

- اتفضل يا دكتور

لحظات قليلة وكان الدكتور داخل الحجرة القديمة ،التى امتلأت

بالمقاعد و الطاولات الخشبية وانتشرت أحجار المعسل فى كل ناحية ..

كانت كما يطلقون عليها (غرزة ) فى قلب المقابر..

جلس د.منير على أحد المقاعد ،ثم جلس العجوز على مقعد مجاور له وهو يقول:

- ما الذى أتى بك فى تلك الساعة ؟

ابتسم د.منير فى سخرية وهو يقول :

- تلك الساعة !!انك تبدأ عملك فى تلك الساعة. .

ثم نظر حوله وأردف:

- لماذا أغلقت المكان مبكرا هكذا ؟

ابتسم العجوزوهو يقول:

- الشرطة ..يبدو أن أحد وجه الشرطة لطريقنا ..لهذا أغلقتها لفترة حتى تعود الأمور هادئة

صمت د.منير ثم تنهد وهو يقول:

**- كل هذا الطريق قطعته فى تلك الساعة لأعرف أمر واحد ..**

**أخرج من جيب معطفه كيسا يحتوى على أعشاب سوداء ..**

**ثم أكمل كلامه وهو يمسك بجلباب العجوز بقوة:**

**- ما هذا بالضبط؟!**

**----------**

**كانت دهشة (يسرية) رهيبة وهى ترى القادم إليها..**

**كان زوجها المتوفي..**

**كان يقترب منها فى هدوء ،وعلى وجهه أقصى علامات العتاب والحزن ..**

**صرخت :**

**-كيف ؟! كيف أنت هنا ؟! أنت شخص ميت ..ميت**

**سمعته يقول فى صوت وكأنه صدى يتردد فى المكان:**

**- أنت سبب موتي ..أنت سبب موت ولدي ..أنت لا ترين غير نفسك فقط**

**انهارت ولم تعد ترى فى المكان سوى الفراغ يقف فى وسطه زوجها..**

**صرخت :**

**- ماذا فعلت ؟! لماذا كنت السبب؟!**

**عاد صوته يتردد فى المكان :**

**- أنت السبب ..**

**ثم صرخ :**

**- اهمالك فى إغلاق الغاز كان سببا في مصرع ابننا ومصرعي..غادرتي المنزل لعملك وتركتي الغاز ينتشر فى كل مكان حتى اختنقنا معا..قتلتينا بلا رحمة ..**

**صرخت :**

**- لم أتعمد ذلك .صدقني ..حتى التحقيقات أثبتت ذلك**

**ضحك فى قوة وقال:**

- حتى لو اقتنعت ..اقنعى ابنك بذلك ..

تراجعت فى قوة وصرخت وهى ترى ابنها يقترب منها ويقف بجانب والده..

وكان ينظر لها نفس النظرة الثاقبة ..

هنا..لم تستطع التحمل ..

لم تستطع أن تواجه ابنها بما يثقل به قلبها، كانت بالفعل تلقي اللوم على نفسها ..

صرخت ،وصرخت ..

حتى انهارت تماما ،واختفى كل من حولها ..

وساد الظلام ، والصمت ..

---

كان العجوز ينظر إلى الكيس الذي يحمله د.منير ثم أخذه منه وهو يقول :

- كيف وصلت لهذا الكيس ؟

عاد د.منير يقول :

- ما هذه الأعشاب يا هلباوى؟

- أنت سرقت هذا الكيس مني.

- أكرر لك ..ما اسم تلك الأعشاب ..؟

صمت العجوزوجلس فى مقعده وهو يبتسم ساخرا ،قائلا:

- لقد بحثت عن هذا الكيس فترة طويلة ،لم أتخيل لحظة انك انت الذى سرقته ..د.منير العالم الجليل الفذ يسرق ..

ثم عاد يضحك وصوت صدره كأنه محرك سيارة قديم :

- ماذا فعلت بهذه الأعشاب؟

صمت د.منير لحظه ثم قال:

- لقد استخدمتها فى عقار ..وهذا العقار وصل لابنى قبل ان يولد ..

اتسعت عينا العجوزفى ذعر شديد وصرخ :

- ماذا فعلت ؟!

ثم جاء دوره ليمسك هو بمعطف د.منير فى قوة وقال:

- لقد فتحت أبوابالجحيم ..هل تفهم أبواب الجحيم. .

---

قبل تلك الأحداث كلها بفترة ليست بالقليلة ، رحلت والدة د.منير ..

كانت هي الانسانة الوحيدة التى يتعامل معها د.منير بطريقة مختلفة ..

كل تعاملاته كانت فى نطاق آلى ، بعيدا عن المشاعر ..

حتى تعامله مع والده كان يخلو من المشاعر ؛ ربما لأن والده كان كذلك مع الجميع ،وقد ورث عنه د.منير هذه الطباع ..

حتى مع زوجته كان آلى الإحساس ويتعامل معها بنوع من التحفظ..

إلا والدته التى غمرته بالحنان والعاطفة ،وبادلها هو نفس الشعور..

**حتى رحلت من عالمنا..**

**انهار ..**

**لم يصدق الجميع أن ذلك الشخص البائس هو د.منير..**

**وفى جنازتها رحل الجميع ما عدا هو ..**

**صمم على البقاء ، حتى غابت الشمس وعم الظلام..**

**هنا بدأ يعود لوعيه ،ويدرك أن عليه الرحيل من هنا فقد تم دفنها فى مقابر العائلة التى تبعد عن العمران بمسافة كبيرة..**

**بدأ يغادر مكانه ، ولكنه أدرك أنه تائه..**

**ذهب يمينا ،ويسارا ،حتى اصطدم به ..**

**عجوز ممتلئ التجاعيد، يبدو كشبح وسط الظلام ..**

**فزع د.منير لأول وهلة ثم أدرك الموقف ..**

**سأله العجوز:**

-من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟!

أجابه د.منير :

- كنت فى جنازة والدتى ..مقابر آل الدسوقى

هز العجوزرأسه متفهما وقال :

- أراك منهارا. .تعال معي

صمت د.منير وكأنه ينساق الى قدر محتوم..

وجد نفسه يدخل حجرة واسعة بين المقابر ،ورأى أمامه بعض الرجال يدخنون ويسعلون فى قوة..

كانوا يضحكون بلا توقف ..

أدرك د.منير أنها (غرزة) كما يطلقون عليها..

وأن عليه الرحيل ..

فجأة رأى العجوزمن بعيد وهو يعد نرجيلة ويضع فيها كمية قليلة من أعشاب لونها أسود..

ثم يخلطها بقليل من المعسل. .

رآه يأتى إليه ويقدم له النرجيلة..

فى البداية رفض د.منير رفضا قاطعا ،ولكن العجوز ألح ..وألح..وأوضح له أن ذلك الشىء سيخرجه تماما من حالته الحزينة..

ورضخ. .

شد دخانها فى حذر..

مرة فأخرى. .

تحولت الصورة أمامه إلى بحر واسع ،كان يجلس هو على الشاطيء فى تلذذ، يحيط به كل فتيات الجزيرة ..

رأى نفسه فى ناطحة سحاب ينظر للعالم كله ،ويشعربقوة رهيبة تجتاح جسده ..

حتى عاد إلى واقعه ..

نظر د.منير حوله فرأى الحجرة خالية تقريبا ، لا يوجد فيها غير العجوز وكان منهمكا فى ترتيب المكان مع صبيه وهو طفل صغير نحيل الجسد ..

قال بصوت خافت :

- ماذا حدث ؟!

ترك العجوز ما كان يفعله ثم اتجه إليه قائلا:

- حمدا لله على السلامة .لقد عدت أخيرا

سأله د.منير:

- ماذا فعلت بي ؟!ما هذا الشىء الذى فتح لى كل هذا العالم الرحب..

ضحك العجوز ،ولم يجاوبه..

قام د.منير من مكانه منهكا. .وطلب من العجوزأن يأتى صبيه معه حتى يصبح دليلا له على الخروج من المقابر..

وافق العجوزوذهب الطفل الصغير مع د.منير حتى يرشده إلى خارج المكان ..

أثناء السير تمكنت فكرة مجنونة منه، فقال للصبي الصغير:

- ما اسمك ؟!

الصبي:-حسن

د.منير:هل انت قريب لهذا العجوز

**الصبي: المعلم (هلباوى) ليس بقريبي، ولكنى أعمل لديه مقابل طعامى**

**د.منير: ما هى الأعشاب السوداء التى يضعها (هلباوي) فى المعسل**

**الصبي لا أعلم ..هو لديه أكياس كثيرة يوجد بها تلك الأعشاب**

**د.منير : هل يبيعها؟**

**الصبي لا ..لقد طلب منه أكثر من شخص هذا الطلب ورفض ..**

**د.منير : ما رأيك بألف جنيه للكيس ؟!**

**وقف الصبي مكانه فى ذهول..**

**ثم ارتجف وقال :**

**- ولكنه لو علم بذلك سيقتلنى**

**د منير :- لن يعلم ..أحضر لى كيسا غدا و سأنتظرك فى أول المقابر مقابل المبلغ**

**صمت الصبي فى تفكير ..**

**ثم ابتسم ..**

**وتمت الصفقة بنجاح..**

---

كان العجوز ينظر لدكتور منير فى ذهول ولا يزال قابضا بيده على معطفه وهو يصرخ:

- هذه الأعشاب لا تستخدم إلا بحذر ..أنت سرقتها مني..انا استخدم عشبة واحدة وأضع عليها كمية من المعسل حتى اتحكم فى قوة تلك الأعشاب ..

قال له د.منير فى استغراب:

- ما هى تلك الأعشاب ؟!هل هى نوع من المخدرات ؟

أفلت العجوز قبضته وقال:

- كيف تستخدم شيئا لا تعرفه فى عقار ..حتى لو كانت مخدرات ..كيف تضعه فى عقار وتحقن به ابنك ..يا لك من مغرور أنانى. .أنت كوالدك تماما لا يلتفت لأحد ..متكبر ..

قال د.منير فى قوة:

- مرة أخرى أسألك ..ما هى تلك الأعشاب؟

صمت العجوز برهة ،ثم قال:

- تعال معي

خرج د.منير مع العجوز خارج الحجرة ،ثم سار قليلا فى المقابر،حتى وصل أمام حجرة واسعة للغاية مغلقة من الخارج ..

أشار العجوز إلى الحجرة الواسعة وقال:

- هذا مدفن مهجور منذ فترة بعيدة ، يرقد فيه عدد من الجثث كلهم ماتوا فى يوم واحد ..كانت مذبحة من تلك المذابح فى فترة من فترات الاستعمار الفرنسي على مصر ..كلهم دفنوا هنا..

قال د منير فى تساؤل:

- ما علاقة هذا بالأعشاب؟

أكمل العجوز قصته:

- فى منتصف كل شهر هجري، وفى الليل تسمع هنا فى تلك الغرفة صرخات مكتومة ..سمعتها وفزعت..

ثم عادت تتكرر فى الشهرالتالى تجرأت فى الصباح واقتحمت المدافن..رأيت الأرض تفترشها تلك الأعشاب السوداء ..ذهلت ..لكنى جمعتها ووضعتهافى أكياس صغيرة ..

حتى راودتني فكرة ملعونة ،ووضعت تلك العشبة فى أحجار المعسل ورأيت المعجزة ..

عالم يفتح لك ،وكأنك خرجت من الدنيا لدنيا أخرى تحلم بها..

كل منتصف شهر هجري أسمع الصرخات،وفىاليوم التالى أجمع الأعشاب من الأرض. .

اتسعت عينا د.منير فى ذعر وهو يقول:

- هل تقصد ؟!

أومأ العجوز برأسه وقال:

- بلى ..انها أعشاب جنية..تنتج من الجن والعفاريت والأشباح ..

صمت قليلا ثم أردف فى بطء:

**- ولهذا أسميتها عشبة الجن ..**

**دلف د.منير داخل منزله فى تهالك شديد ، وانهار على أقرب مقعد ..**

**كان هاله ما سمعه من العجوز (هلباوي )، الذي أكد عليه التخلص من طفله..**

**التخلص منه !!..**

**كيف ؟ انه طفلي مهما حدث ؟!**

**هكذا حدث نفسه ..كيف يتخلص من طفله ؟..**

**كيف يجرؤ على ذلك ؟**

**ما عرفه من العجوزأن تلك العشبة تؤثر على قدرات العقل وتمنح المتعاطى هلاوس بصرية وسمعية ، لكن بحذر شديد ويتم خلطها بالمعسل ويتم حرقها بالدخان.**

**لكن ما فعله د.منير هو إضافة جرعة زائدة إلى عقاقير طبية وتم توصيلها مباشرة إلى جنين ..**

**فى هذه الحالة اختلف الوضع ..**

لقد أصاب الجنين مسا شيطانيا، حولته إلى مسخ بدلا من كونه طفل رضيع ..

تلك العشبة فتحت فى عقله قدرات قاتلة يستطيع بها أن يؤثر على عقول المحيطين. .

يتحكم فى تفكيرهم ..

نقاط ضعفهم ..

استطاع د.منير أن يستنتج ذلك من خلال شبهة موت زوجته التى أخبره الطبيب أنها أعراض غرق..

كانت تخشى المياه طوال حياتها..

لقد تحكم فى عقلها وأوهمها انها فى بحر عميق تحاول الخلاص منه..

يبدو فعلا أن عليه الخلاص منه ..

هكذا قرر..

لكن ..

لن يسمح بهزيمته العلمية..

سيعلن نجاحه وتفوقه ،وسيثبت للجميع أن عقاره فوق الشبهات.

..وأن كشفه العلمي سليم ..ثم يتخلص منه بعد ذلك ويبدو للجميع أنه قضاء وقدر ..

هكذا خطط..

أفاق من ذكرياته وهو يتلفت حوله ..

صمت لزج يجتاح المكان ..

قام من مقعده ،واتجه إلى غرفة طفله ، فرأى بابها مفتوحا ..

- مدام (يسرية)..

نطقها وهو يبحث عنها فى أرجاء الحجرة ..

تراجع فى ذعر وهو يراها جالسة على أرضية الحجرة تنظر إلى الفراغ فى رعب ..

اقترب منها ، وأمسك ذراعها ..

- ماذا بك ؟!

صامتة ، ذاهلة. .

نظر د.منير إلى طفله الذي كان يجلس على فراشه فى هدوء. .

بكل الحنق قال د.منير:

**- ماذا فعلت ؟!**

**لمح نظرة ساخرة ،مخيفة فى عين طفله ..**

**شعر برجفة باردة فتراجع عن ثورته، ثم أخرج تليفونه واتصل على أحد الأطباء ليأتي له بسيارة إسعاف تنقلها إلى مستشفى للأعصاب ، فقد أدرك انها صدمة شديدة دمرتها.**

**تيقن أنه لاسبيل سوى القضاء على طفله ..**

**لم يعد طفله ..**

**حاول التشويش على أفكاره ؛عندما لمح ابنه الصغيرينظر له فى ثبات مخيف وكأنه يقرأ أفكاره..**

**حاول أن يبتسم فى وجهه ..**

**لكن هيهات ..**

**لقد أدرك الحقيقة ..**

**ولا سبيل للتراجع..**

**----------**

**وقف د.منير يتأمل (يسرية ) وهم يحملونها على المحفة ويدخلونها سيارة الاسعاف ..**

**تنهد الطبيب وهويقول :**

**- من الواضح انها صدمة عصبية شديدة**

**غمغم د.منير فى خفوت :**

**- أفضلمن أن تموت**

**قال الطبيب فى تساؤل :**

**- ماذا ؟!**

**هز د.منير رأسه:**

**لا شيء**

**رحلت السيارة حاملة مديرة منزله ،ثم عاد إلى داخل المنزل ..**

**تبقت أيام قليلة على المؤتمر العلمي ..**

**لن يسمح بحدوث شىء يجعله يفشل أمام الجميع ..**

**قرر انه سيبقى داخل منزله مع طفله ، وحدهما دون أى دخيل ..**

ستمر تلك الأيام وهما سويا ،وينتهي من تقاريره ،وأوراقه ،وأبحاثه التى سيعلنها أمام الجميع ويثبت صحة نظريته ..

وقف أمام طفله ينظر له ويقول:

- ها نحن سويا دون دخيل ،حتى موعد المؤتمر ..

وفى أعماق أعماق عقله قرر أن يتخلص منه بعد ذلك ..

سيغلق بوابة الجحيم ..

--؛----------

أسبوع كامل ود.منير يقضي كل وقته مع طفله بحذر بالغ ..

أنهى أبحاثه و تقاريره كلها ..

كان يراقب طفله جيدا ، ويحاول ألا يزعجه أو يثير الريبة داخله..

لقد قرر ان يتخلص منه بعد المؤتمر العلمي ، سيجعل العالم كله يصفق له فى فخر ،ثم يتخلص من طفله بطريقة لا تثير الشك ..

**طريقة تناسب طفله الشيطاني ..**

**----------**

**كان الحشد كبيرا أمام منصة المؤتمر التى يقف خلفها د منير ..**

**كانت منصة واسعة وضع طفله فى حجرة زجاجية وكانت تحيط به الأسلاك التى ترسم إشارات المخ ..**

**وقف د.منير مختالا فخورا وقال:**

**- اليوم أثبت لكم صحة نظريتي التى تكلمت عنها منذ عام ونصف تقريبا ..**

**من المؤسف فقدان زوجتى ،ولكن لم يكن بسبب العقار بل كانت موتة طبيعية ..**

**اليوم سنرى جميعا كل الأدلة والتقارير وردود الفعل لدى طفلي لتأكيد صحة العقار ..**

**بدأ د.منير يشرح ويفسر ويعلن تقاريره وأدلته أمام الناس ، مستعينا باشارات المخ التى توضح ما يقول ..**

**واتسعت عيون الجميع بالانبهار ..**

كان كل شىء يؤكد نجاحه..

وانتهى المؤتمر ..

تنهد د.منير فى قوة وهو ينظر إلى طفله الصامت داخل الحجرة الزجاجية نظرة أخيرة ثم ضغط زرا صغيرا فى جهاز صغير أشبه بفلاشة الكمبيوتر ..

فجأة ، ارتعشتالكهرباء فى قاعة المؤتمر ، وانزعج الحاضرون والأجهزة تصدر شرارات كهربية ..

وأمام الجميع ،هرولد.منير نحو طفله فى فزع تمثيلي وهو يصرخ :

- طفلي ..

صعد البعض فوق المنصة يساعد د.منير فى إخراج طفله الذي كان داخل الحجرة الزجاجية يرتجف من الكهرباء التى سارت فى جسده ..

استطاع أحدهم فصل التيار الكهربي ، وإخراج الطفل من مكانه..

وأمام الجميع كان جثة هامدة ..

صرخ د.منير فى قوة :

- كيف حدث ذلك ؟من المسئول عن تأمين التيار ..من قتل طفلي؟

انهار أمامهم واندفع الجميع يحاولون مواساته. .

واندفعت الدموع من عيني د.منير..

وحاول أن يمنع ابتسامة شرسة تحاول القفز من ملامحه..

---

كانت جنازة كبيرة للطفل ..

الكل شارك فيها ، وهم يحاولون مساعدة د.منير ليخرج من حالة انهياره. .

كانوا يعلمون أنه متبلد المشاعر ،متعجرف ، لكن المصاب كبير..

طفله الرضيع ، وقبل ذلك زوجته ..

رحل الجميع ، وصمم د.منير على البقاء ..

استقر فى مكانه حتى عم الصمت والظلام ..

وفى هدوء اتجه نحو حجرة العجوز هلباوي وطرق بابها..

طالعه وجه العجوزوهو يقول:

- لقد فعلتها يا د منير ..صدقتنى. .هذا أفضل لك وللجميع ..كان طفلك سيجلب خرابا على الكل..

ابتسم د.منير وهو يجلس ويقول:

- ألا زلت تغلق المكان خوفا من الشرطة ؟

العجوز :

- بلى ..لازالت الشرطة تحوم حولي

د.منير:

- هل تعلم ان طفلي كان يقرأ الأفكار أيضا ..ويستطيع أن يخترق الذاكرة ليعلم كل شىء حدث فى حياة الآخرين ؟

العجوز :

- أنا متأكد أن بإمكانه أى شيء

د.منير:

- مالا تعرفه انه علم بأنك الذي أخبرتني بكل شيء ، وأنك الذي أقنعتني بقتله..

ارتبك العجوزوهو يقول :

- وكيف عرفت انه علم ذلك ؟!

ابتسم د.منير فى سخرية :

- وما لا تعلمه أيضا أن هذه الروح الشيطانية يمكنها أن تتحرر وتنطلق من جسد إلى جسد آخر ..

ارتجف العجوز وبدا له الموقف وهو يقول:

- ماذا تريد أن تقول ؟!

د.منير :

- وجود الروح فى طفل رضيع مملة كأنها فى سجن ضيق ..أما فى جسد عالم فذ فهذا أمر محبب ..لقد استمتعت كثيرا بحادث المؤتمر وانا أتخلص من طفل صغير لا حول له ولا قوة ،مجرد طفل رضيع صامت خائف ..

**ثم صرخ فى شراسة والتمعت عيناه قائلا :**

**- الآن سترى كل حياتك وهى تمر أمام عينيك وكل مخاوفك. .ستتمنى الموت ولن أرحمك..**

**وارتفع فى المكان صوت صرخة العجوز تختلط بها ضحكة شيطانية مخيفة ..**

**----------**

**بعيدا..**

**وفى مقابر أخرى..**

**وسط الظلام ..**

**اندفع رجل يجري وهو يصرخ:**

**- عوض ..عوض..**

**خرج من أحد الحجرات الموجودة وسط المقابر رجلا نحيلا يرتدي جلبابا، وقال:**

**- ماذا بك يا (سيد)؟**

**سيد :**

**- رأيتها مرة أخرى ..صدقنى رأيتها ..**

**عوض:**

**- رأيت ماذا ؟!**

**سيد :**

**- السيدة التى تحوم حول القبر شبح يخرج من هذا القبر ثم يحوم..
حوله ..فى هذه المرة خرج من المقابر كلها ..صدقني**

**عوض :**

**- وهذا القبر ، من آخر من دفن فيه ؟**

**سيد :**

**- انه قبر زوجة د.منير .. (منير الدسوقي)**

**(تمت )**